هوامش

وحدها الصدفة والهرب من الغارات في الحرب العالمية الثانية قادت سكان سيوة المصرية إلى جبل الموت الذي يضمّ آلاف المقابر الأثرية غير المكتشفة

جبل الموتى (لويس دافوس/Getty)

جبل الموتى

الهرب من الغارات نحو كنز مدفون

القاهرة ـ **محمد كريم**

في أثناء الحرب العالمية الثانية سنة 1944، هرول سكان واحة سيوة إلى جبل غير بعيد من مساكنهم كي يحتموا فيه من الغارات التي كانوا يتعرضون لها. وهناك اكتشفوا أن الجبل الذي يحتمون به يحتوي على آلاف المقابر الأثرية التي لم تكن البعثات الأثرية قد وصلت إليها بعد، فأطلقوا على الجبل اسم جبل الموتى.

يبعد جبل الموتى عن القاهرة نحو 560 كيلومتراً، وعن سيوة نحو كيلومترين، وهو عبارة عن جبل جيري مخروطي الشكل يبلغ ارتفاعه 50 متراً. ومن أسفله إلى أعلاه يحتوي على مقابر أثرية منحوتة على شكل خلية نحل مصفوفة بشكل هندسي يشبه شكل الواحة القديمة. بعض تلك المقابر موجودة على عمق كبير، وكل مقبرة عبارة عن دهليز مستطيل الشكل ينتهي إلى فناء واسع مربع، وهذا الفناء تتفرع منه مجموعة فتحات مخصصة لوضع الموتى.

الدراسات المتتابعة التي أُجريت على الآثار المكتشفة تؤرخ لتلك المقابر في الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، خصوصاً أن معظمها ينتمي إلى الأسرة السادسة والعشرين (664-525 ق.م)، وقد استمر استخدام تلك المقابر حتى العصرين اليوناني والروماني، ولذا فإنها تجمع في تصميمها بين الفن المصري القديم والفن اليوناني حيث نشأ هذا الاندماج نتيجة اختلاط الثقافات.

من أهم تلك المقابر «مقبرة التمساح» التي عرفت بهذا الاسم لأن اسم صاحب المقبرة مطموس، وقد أُعجب المكتشفون من أهالي سيوة بمنظر التمساح الذي يمثل موقعاً فريداً في هذه المقبرة، وهو تمساح أصفر اللون يمثل المعبود «سوبك». وهذه المقبرة عبارة عن هيكل أشبه بكهف مكوَّن من ثلاث حجرات. ويقول عالم الآثار المصري زاهي حواس، إنها من أهم المقابر المنقوشة في الجبل، لأنها تزخر بمناظر جدارية فريدة لكتاب الموتى، ومناظر أخرى تصور صاحب المقبرة وهو يتعبد لبعض الآلهة، وعلى جانب المدخل صور لثلاثة من المعبودات ممسكة بالسكاكين بهدف حماية المتوفى.

أما مقبرة «ميسو إيزيس»، فتحوي نقشاً مكتوباً يصف أوزيريس بأنه الإله العظيم المبجل في ثات، ولعل «ثات» هو الاسم القديم لواحة سيوة. فيما تُعَدّ مقبرة «سي آمون» من أجمل المقابر الأثرية في واحة سيناء. و«سي آمون» رجل ثري من أصل إغريقي تزوج مصرية وعاش في سيوة ودُفن بها، ويبرز في رسومات هذه المقبرة امتزاج الفن اليوناني بالمصري. وفيها نقوش تؤرخ للفترة ما بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد، وتترجم المناظر الجدارية عقيدة المصري القديم في البعث والخلود؛ مثل قاعة محكمة أوزيريس، وسي آمون يتعبد لبعض الآلهة، وصورة على سقف المقبرة للمعبودة «نوت» ربة السماء، وهي واقفة تحت شجرة جميز، ومنظر لأبناء حورس الأربعة، وكان من مهامهم حراسة جسد المتوفى وحماية أحشائه بعد التحنيط، ومنظر آخر لصاحب المقبرة في وضع التعبد، وأمامه مائدة القرابين محملة بحيوانات الواحة وطيورها. أيضاً توجد مقبرة «ني بربا تحتوتي» كاهن الإله أوزوريس، وهي من أضخم المقابر بالجبل، وكان صاحب المقبرة يشغل أيضاً وظيفة كاتب الوثائق المقدسة، ويلقب بالعظيم في مدينته، والرجل العادل المستقيم. وتضم مقبرته نقوشاً من كتاب الموتى، هي عبارة عن نشيد موجه إلى الإله تحوت، منظر لطقس ديني يعرف باسم سحب الثيران الأربعة، ونقشاً لصاحب المقبرة، وهو يتعبد لمجموعة من الآلهة، ولكن ليس بينهم الإله آمون، ويظن بعض الأثريين أن هذه المقبرة تعود إلى الفترة ما بين الأسرتين السادسة والعشرين والثلاثين.

كذلك توجد مقبرة أخرى يطلق عليها «ثيبر باثوت»، وهي مزينة برسومات ونقوش جمالية مصبوغة باللون الأحمر الذي يغلب على الأواني الفخارية المستخدمة في سيوة حتى الآن، وتضم تلك المقبرة تابوتاً حجرياً موضوعاً على أرضية غرفة الدفن. إضافة إلى العديد من المواقع الأخرى.

يذكر أن واحة سيوة تضم العديد من المواقع الأثرية التي تنتمي إلى عصور مختلفة، مثل جبل شالي وجبل الدكرور ومعبد التتويج ومعبد أم عبيدة وغيرها. وقد فتحت تلك المواقع الأثرية أبوابها للباحثين والسائحين مرة أخرى بداية من هذا الشهر بعد توقف حركة السياحة، والإجراءات المصاحبة للوقاية من تفشي فيروس كورونا.

باختصار

عام 1944 اكتشف المصريون الهاربون من سيوة آلاف المقابر الأثرية في الجبل.

■■■

يبعد جبل الموتى عن القاهرة نحو 560 كيلومتراً، وعن سيوة نحو كيلومترين.

■■■

تعود المقابر إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وخصوصاً أن معظمها ينتمي إلى الأسرة السادسة والعشرين.

وأخيراً

«مان بوكر»... أين نحن من إنجاز جوخة الحارثي؟

محمود الرحبي

مرّت قبل أيام الذكرى الأولى لتتويج الكاتبة العُمانية، جوخة الحارثي، بجائزة مان بوكر (2019). إذ تترجم روايتها حاليا إلى مختلف لغات الأرض، لتواصل بعد كل ترجمة إبهار مزيد من قرّاء تلك اللغة. وقّعت جوخة على عقود لترجمة روايتها الفائزة إلى أكثر من عشرين لغة أجنبية. كما تربّعت الرواية على عرش قائمة الكتب الأكثرَ مبيعا في كل من الولايات المتحدة والهند وأستراليا وكندا. انتزعت جوخة الجائزة المرموقة من أسماء عالمية وازنة ترشّحت إلى القائمة القصيرة، وذلك بفضل روايتها «سيدات القمر»، (ترجمتها إلى الإنكليزية الأكاديمية الأميركية مارلين بوث بعنوان «أجرام سماوية»). ويكفي هنا ذكر اسم البولندية أولغا توكارتشوك التي فازت بجائزة نوبل (2018) لندرك حجم المنافسة بين الأعمال المرشّحة، من دون أن يعني ذلك التقليل من قيمة بقية الأسماء الأخرى المهمّة التي أشعلت المنافسة، وهي الفرنسية آني أيرنو والألماني ماريون بوشمان والكولومبي خوان غابريل فاسكويز والتشيلية آليا ترابوكو زيران.

أما من يقولون إن الفائزة هي المُترجِمة، أيْ أنّ ما فعلته المترجمة إلى الإنكليزية هو ما جلب الجائزة لجوخة، فلا بأس في الإقرار بأن كلامهم صحيح، لكنْ ليسمحوا بالسؤال: تُرى، ماذا كانت ستترجم مارلين بوث ما لم تجد مادة تترجمها؟.. فحين ترجم أنطوان غالان «ألف ليلة وليلة» في القرن السابع عشر قيل إن ترجمته هي التي جعلت النص مُهمّا؛ إلى أن جاء بورخيس الذي يُجيد عدة لغات، وفاجأنا بأن الترجمات الأخرى، وخصوصا ترجمة إدوارد لِين، هي الأهم حسب وجهة نظره. وأنا في غاية التأكد من أن بورخيس لو كان يتقن العربية التي اجتهد في تعلمها على يد معلّم من الإسكندرية، ولكن العمر لم يسعفه، لو قرأها بالعربية لقال الكلام نفسَه عن النص الأصلي.

وأقول لمن يرون إن ما أنجزته جوخة إنجاز «شخصي»: كلامكم صحيح، ولكن جوخة حين تشارك تحمل معها اسم اللغة العربية، خصوصا حين تشارك في فعاليات وأنشطة ثقافية في دول غير ناطقة بالعربية (كما حدث ويحدث). وتحمل، قبل ذلك، اسم بلدها، سلطنة عُمان؛ فما إن أُعلن فوز جوخة الحارثي بالـ«مان بوكر» العالمية، حتى أخذت أكبر صحف العالم تروّج اسمها. كما تتابعت عليها الدعوات من كل بقاع الأرض، واضطرت، لكي تلبّي بعضها، إلى غربلتها وجدولتها. قبل جائحة كورونا استطاعت أن تزور الهند، وتلقي محاضرات في بعض جامعاتها، مناظِرةً في الأدب العربي، سفيرةً «غير متوجة». كما زارت ماليزيا والدنمارك وغيرهما. وما زالت الدعوات تصل إليها تباعا. وأخيرا كانت في قطر، ولكنْ فقط عبر تقنية الـ«سكايب».

يمكن استثمار هذا التفوق العالمي لجوخة الحارثي في سياقات كثيرة، تصبّ في صالح اللغة والأدب العربيين، فاعتمادا على صدى إنجازها الكبير، يمكنها أن تكون خير مروّج للغة والأدب العربيين في العالم، حتى في بلادها .. فماذا لو ألقت جوخة، مثلا، محاضرات دورية في الجامعة لطلبة أجانب؟ سيحجون إلى الفائزة بجائزة بوكر من أكثر من بقعة من العالم، ليغرفوا من زادها المعرفي في لغتها الأم، خصوصا أن جوخة أكاديمية، إلى جانب إجادتها الإنكليزية.

> جوخة تكتب عن النساء في مجتمع مغلق، تعيش المرأة فيه إكراهات المجتمع الذكوري

استطاعت إذن «سيّدات القمر» القادمات من «شرقية» عُمان بعصامية نادرة، ممثلات في الكاتبة جوخة الحارثي، أن يُزحن أسماء كبيرة، لتنتزع الحارثي الجائزة عن جدارة واستحقاق، متبوئةً بذلك مركزا يعدّ طموحا «شبه مستحيل» لأيّ كاتب في العالم، وليس فقط في أوطاننا العربية. فما حقّقته جوخة من إنجاز هو، في ظني المتواضع، أشبه بالمعجزة «وهل المعجزة شيء آخر غير خرق العادة»، كما كتب محمد عابد الجابري في «تكوين العقل العربي». ويستدعي المقام، كذلك، أن أعرّج على أمر مهمّ، أن جوخة تكتب عن النساء في مجتمع مغلق، تعيش المرأة فيه إكراهات المجتمع الذكوري، فجميع ما كتبت تقريبا من قصص وروايات عن المرأة وعوالمها وأحلامها. هذا هو عالمها الذي تعرفه، والذي أخلصت لتأمّله واستكناه خباياه وكنوزه. فأين نحن من هذه الإنجازات والخدمات الجليلة التي أسدتها هذه الرّوائية الموهوبة للأدب العُماني والعربي عموما؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**